

مقدمة:

التعليمية علم قائم بحد ذاته له مرجعيته المعرفية ومفاهيمه واصطلاحاته، وهي تحتل مكانة متقدمة بين العلوم الإنسانية، كما استخدم هذا المصطلح في الحقل التعليمي للدلالة على الدراسة العلمية لتعليم المواد، وذلك قصد تطوير المحتويات والطرق والوسائل وأساليب التقويم، بغية الوصول بالمتعلم إلى التحكم في المواد التعليمية، كونها تهتم بالمواد الدراسية وبالبحث عن أنجع الأساليب في تخطيط محتواها وتنظيمه وتعديله.

ونحاول في هذه المادة تحليل العملية التعليمية التعلمية من حيث مفهومها ونماذجها ومكوناتها ووسائلها حسب الممارسة والتطبيق.

أولا/ تعريفات أولية:

1. مفهوم التعليمية:

استعملت كلمة تعليمية للدلالة على ما يرتبط بالتعليم، وذلك من خلال الأنشطة التي تحدث في العادة داخل الأقسام أو في المدارس، وتستهدف نقل المعلومات والمهارات من المدرس إلى المتعلمين، لذا سنحاول الوقوف عند معناها اللغوي ومعناها الاصطلاحي.

1.1 لغة: تشتق لفظة التعليمية في اللغة العربية من الفعل " علم " لذا سنحاول أن نقف على معناها في معجم لسان العرب، الذي يعتبر من أبرز المعاجم اللغوية في اللغة العربية عند تصفح معجم لسان العرب ابن منظور نجد أن هناك معان عديدة للتعليمية (ابن منظور، 2006، ص 362).
علم: من صفات الله عز وجل العليم، العالم والعلام، قال الله عز وجل: { أَوْ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ } (سورة يس: الآية 81).

وقال: { هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } (سورة الحشر: الآية 22).
والعلم نقيض الجهل علم عالما، وعلم هو نفسه ورجل عالم وعلیم من قوم علماء فيهما جميعا وتقول علم وفقه أي تعلم وتفقّه (ابن منظور، 2006، ص 263).

وعلم علما فهو أعلم علمته وعلمه تعلمه ويعلمه علما وسمة (ابن منظور، 2006، ص 264).

2.1 اصطلاحا: تعتبر التعليمية موضوعا هاما في العملية التعليمية، لذا تطرق إليها العديد من الباحثين والدارسين بهدف الوصول إلى مفهوم يضبطها، ويرجع ذلك إلى تعدد ظاهرة الترادف في اللغة العربية وحتى في لغة المصطلح الأصلية، فإذا ترجم إلى لغة أخرى نقل الترادف إليها: فنجد في لغة الفرنسية

مصطلح Didactique الذي يقابله في العربية عدة ألفاظ: تعليمية، تعليميات، علم التدريس، علم التعليم، التدريسية، الديدكتيك (أبرير، 2007، ص 08).

وتتفاوت هذه المصطلحات من حيث الاستعمال، ففي الوقت الذي اختار بعض الباحثين استعمال " ديداكتيك " تجنباً لأي لبس في مفهوم المصطلح الذي نجد باحثين آخرين يستعملون علم التدريس، علم التعليم، وباحثين آخرين قلائل يستعملون مصطلح تعليميات.

أما مصطلح التدريسية فهو مصطلح عراقي لم يشع استعماله، غير أن المصطلح الذي شاع في الاستعمال أكثر من غيره هو مصطلح التعليمية.

فجان كلود غايون J.G. Gagnon في دراسة له أصدرها سنة 1973 بعنوان ديداكتيك المادة، La Didactique D'une Dxipline، عرف التعليمية على أنها: " إشكالية إجمالية ودينامية تتضمن تأملاً وتفكيراً في طبيعة المادة الدراسية، وكذا في طبيعة وغايات تدريسها، وإعداداً لفرضياتها الخصوصية انطلاقاً من المعطيات المتجددة، والمتنوعة، وباستمرار لعلم النفس والبيداغوجية وعلم الاجتماع (أبرير، 2007، ص 09).

ومن هذا التعريف يتبين لنا أن التعليمية تتمحور حول المادة الدراسية، والبحث في طبيعتها والهدف من تدريسها، ويتم ذلك من خلال استعانتها ببعض العلوم المتصلة بعملية التدريس كعلم النفس وعلم الاجتماع والبيداغوجية.

فالعلمية التعليمية مجموعة منظمة ومنسقة من الأنشطة والإجراءات التي تهدف إلى تلبية الاحتياجات التعليمية، ضمن الشروط والأهداف التي يحددها التعليم العالي في الدولة، حيث تركز العملية التعليمية على المبادئ الأساسية؛ ومنها: الديمقراطية، والعلم، والإنسانية، وتهدف إلى إكساب المتعلم العديد من المهارات التعليمية التي تجعل من شخصيته أكثر قوة واتزان، وتساهم في إتاحة فرص العمل أمامه هو كل تأثير يحدث بين الأشخاص، ويهدف إلى تغيير الكيفية التي يسير وفقها الآخر، والتأثير المقصود هو الذي يعمل على إحداث تغييرات في الآخر بفضل وسائل تصورية معقولة أي بطريقة تجعل من الأشياء والإحداث ذات مغزى.

وقد درج معظم الدارسين المهتمين بهذا الحقل حالياً على التمييز بين نوعين أساسيين يتكاملان فيما بينهما بشكل كبير وهما: التعليمية العامة والتعليمية الخاصة.

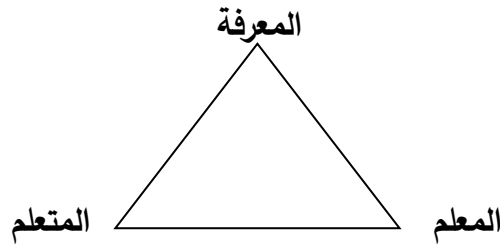
فالتعليمية العامة (Didactique Générale): فتتلمذ بكل ما يجمع بين مختلف مواد التدريس أو التكوين وذلك على مستوى الطرائق المتبعة، ولعلّ هذا ما يجعل هذا الصنف في التعليمية يقصر اهتمامها

على ما هو عام ومشارك في تدريس جميع المواد، أي القواعد والأسس العامة التي يتعين مراعاتها من غير أخذ خصوصيات هذه المادة وتلك بعين الاعتبار.

ويمكن أن يدخل ضمن هذه القواعد والأسس العامة، كل ما يرتبط بأساليب وأشكال التدريس والوسائل والتقنيات البيداغوجية الموظفة.

أما **التعليمية الخاصة (Didactique Simple)**: فتهتم بما يخص تدريس مادة من مواد التدريس من حيث الطرائق والوسائل والأساليب الخاصة بها، فهي تهتم بنفس القوانين والنظريات التي تعتمدها التعليمية العامة، لكن مجالها محصور في القوانين التفصيلية التي تتعلق بمادة واحدة (أوشان، 2005، ص 21). ومن خلال حديثنا عن هذين النوعين يتبين لنا أن التعليمية العامة تهتم بالإطار التوليدي للمعرفة، إذ يتم توليد القوانين والنظريات والتعميمات العامة لمفهوم التعليمية في شكلها العام، في حين أن التعليمية الخاصة تهتم بالجانب التطبيقي لتلك المعارف والمبادئ مع وجوب النظر إلى خصوصية كل مادة.

ويرى (P. Jounaeri) أن هناك قواسم مشتركة بين ديداكتيك المواد، وهي تشكل الجهاز المفاهيمي لهذا العلم، وهي المثلث الديداكتيكي الذي يتكون من المعلم والمتعلم والمعرفة، ويتم التعريف له بهذا الشكل:



ويجب أن نأخذ بعين الاعتبار العلاقة الموجودة بين أطراف العملية التعليمية، وهي تلك العلاقة القائمة بين المعلم والمتعلم والمعرفة في محيط تربوي معين وزمن محدد، بالنسبة للمتعلم يجب أن نعرف قدراته ووسطه وتستفيد في ذلك من سيكولوجية النمو وعلم النفس الاجتماعي ... والمعرفة ينبغي أن تتميز بالترج في مفاهيمها، أما المعلم فينبغي أن تكون له قدرة التخطيط والاستفادة من نظريات التعلم. (أوشان، 2005، ص 22).

ويعرف الديرغ (1990، ص 15) التعليمية بأنها: "الدراسة العلمية لطرق التدريس وتقنياته وأشكال تنظيم مواقف التعليم التي يخضع لها المتعلم، قصد بلوغ الأهداف المنشودة سواء على المستوى العقلي أو الوجداني أو الحسي _ الحركي".

وفي سياق حديثنا عن التعليمية لابد أن نشير إلى أن مفهوم التعليم والتعلم، وأن هناك فرقا بين هذين المفهومين:

1. مفهوم التعليم: نعني به التدريس، فهو نشاط تواصل يهدف إلى إثارة التعلم وتحفيزه وتسهيل حصوله، وهو جهد يبذله المعلم لكي يعين المتعلم على إكسابه المعرفة والخبرة والقيم الإنسانية والوجدانية، ومن هنا عرف التعليم على أنه: "عملية عقلية تسهم فيه وظائف عقلية مهمة كالإدراك والتذكر والتفكير، ويؤثر هو بدوره فيها" (الدريج، 1990، ص 15). فالتعليم هو نشاط تواصل يهدف إلى إثارة المتعلم و تحضيره وتسهيل حصوله على المعرفة.

2. التعلم: ونعني به التحصيل أو الاكتساب أي اكتساب الفرد للمعلومات والمهارات التي تساعده على فهم الموجودات والأشياء في محيطه، فالتعلم هو: "إحراز طرائق ترضي الدوافع وتحقق الغايات وكثيرا لا يتخذ التعلم شكل حل المشاكل، وإنما يحدث التعلم حين تكون طرائق العمل قديمة غير صالحة للتغلب على المصاعب الجديدة، ومواجهة الظروف الطارئة (حساني، 2009، ص 46).

كما يعتبر التعلم عملية ديناميكية قائمة أساسا على ما يقدم للمتعلم من معارف ومعلومات ومهارات، وعلى ما يقوم به المتعلم نفسه من أجل اكتساب هذه المعارف وتعزيزها وتحسينها باستمرار (حساني، 2009، ص 139).

فالتفريق بين الظاهرتين يقوم على أسس وظيفية مبنية على طبيعة عمل كل منها وليس على أساس وضع فواصل نهائية بينهما. ذلك أن التعليم هو مجموعة المواقف والأحداث المعقنة والمخططة لتمهيد وتعزيز التعلم وتنشيطه لدى الإنسان، والتعلم عملية التحصيل التي يدرك الفرد موضوعا ما ويتفاعل معه، كما أنه عملية يتم بها اكتساب المعلومات والمهارات وتطوير الاتجاهات.

2. مفهوم تحليل العملية التعليمية:

عرف الدريج (2004، ص 56) تحليل العملية التعليمية بأنها: "الدراسة التحليلية التي تهدف إلى فهم وتفسير ظواهر التعليم داخل المؤسسات المدرسية ومؤسسات التكوين. بالشكل الذي توجد عليه في النظام التربوي وفي ارتباطها بمختلف الشروط المؤسسية، والتربوية وبمختلف المتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وهذا ما يتعلق بالتنظيم المدرسي وتحليل التعليم أو تحليل النظام التعليمي".

ويكون "تحليل العملية التعليمية" أو "تحليل التدريس" والتي تنطلق في البداية من تحليل السلوك الملاحظ عند الآخرين (المدرس والطلاب في إطار مؤسسة معينة وأثناء انجاز حصة دراسية أو نشاط تربوي محدد)، لتنتهي على المستوى الفردي إلى ملاحظة وتحليل السلوك المهني في جميع أبعاده.

ويقترح كل من هوك ودونكان (Hough & Duncan) تعريفا تحليليا للعملية التعليمية، وينظران إليها

كنشاط يتضمن أربع مراحل:

- مرحلة تنظيمية، يتم فيها تحديد الغايات العامة و الأهداف الخاصة كما يتم فيها اختيار الوسائل الملائمة .

- مرحلة التدخل، أي تطبيق استراتيجيات وانجاز تقنيات تربوية داخل الفصل.

- مرحلة تحديد وسائل القياس، لقياس النتائج وتحليل البيانات.

- مرحلة التقويم، وهي آخر مرحلة وتعني تقويم المراحل كلها وذلك بامتحان مدى انسجام الأهداف وفعالية النشاط التعليمي(الدريج، 2004، ص 54 - 55).

ثانيا/ هل تخضع العملية التعليمية للتحليل الموضوعي؟ وهل يمكن دراستها دراسة علمية؟

إن العملية التعليمية يمكن تحليلها ودرستها دراسة علمية موضوعية، وقد تقدمت بالفعل الدراسات والبحوث العلمية على هذا الأساس وفي إطار علم التدريس، في اتجاهين رئيسيين:

1- اتجاه يسعى إلى إيجاد نماذج وخطاطات لتحليل العملية التعليمية، وهي نماذج يصطنعها العلماء عندما تعوزهم نظريات للتفسير، مثل: النموذج الإعلامي، نموذج النسقي، النموذج التكنولوجي وغيرها من النماذج.

2- اتجاه آخر عمل على خلق أنساق ومنظومات لملاحظة وتقويم العملية التعليمية(شبكات ملاحظة وتحليل التفاعلات داخل الفصل الدراسي).

ثالثا/ صعوبات تحليل العملية التعليمية التعلمية:

إن التعليم كما يمكن أن نلاحظه يوميا في الفصول، من أكثر الظواهر الإنسانية تعقيدا، بسبب تعدد المؤثرات وتشابك العوامل. الأمر الذي يخلق صعوبات أمام الباحثين في محاولتهم لملاحظة وتحليل العملية التعليمية، إن أبحاثهم تطورت على أساس عائق مهم يتمثل في الاستحالة المادية لجمع وتغطية كل الأنشطة، والمواقف والعمليات التي تحدث في الفصل في نفس الوقت وبكيفية متزامنة.

ومن صعوبات التي تواجه تحليل العملية التعليمية التعلمية، نلخصها فيما يلي حسب الدريج(2004، ص 58 - 64):

1. الصعوبات المرتبطة بالأهداف فإنه لا ينتظر منها مجرد تلقينهم جملة من المعارف، وتمكنهم من حصيلة من المعلومات في اللغة والحساب والتاريخ وغيرها، بل ينتظر منها أيضا إعدادهم ليكونوا مواطنين صالحين، وتزويدهم بكل ما قد يحتاجون لنجاح في الحياة، وباختصار فإن المجتمع يرغب في أن تعمل المدرسة على مساعدتهم حتى تتفتح شخصيتهم وتنمو نمو سليما، وهذه الغاية تجعل من التدريس عملية

معقدة. لذا فإن الأهداف الفعلية التي توجه ضمناً أو صراحة، العمل داخل الفصل، لا تكون مطابقة دائماً ولا منسجمة مع التحديدات الرسمية، والتي تبدو لأول وهلة واضحة لا يعترتها غموض.

وأمام وضعية تعليمية نقوم تحليل ظاهرة الفصل انطلاقاً من تصور جماعة الفصل (المدرس والطلاب) وهي تتقدم نحو تحقيق أهداف معينة، عليه أن يراعي حقيقة أن الجماعة تبحث باستمرار عن إرضاء الأغراض المؤسسية في نفس الوقت، والأهداف الفردية. كما أن حياة الفصل تتأثر بالطريقة التي تتضمن وفقها الأهداف الفردية لتتحول إلى أهداف جماعية.

2- كما أن العملية التعليمية عملية معقدة، لأنها تتأثر كما هو معلوم بشخصية المعلم، إن لكل مدرس ميول واتجاهات خاصة ومنظومة قيمية تميزها عن غيره، والتي تتحدد بدورها بانتماؤه الاجتماعي والثقافي، ونمط تكوينه التربوي والعلمي.

3- الصعوبات المرتبطة بمحتويات التعليم ومواده، وكذا بالمصادر التعليمية والتكنولوجية المتوفرة والمستعملة في كل فصل، وبالظروف النفسية والاجتماعية التي تحيط بالمدرسة وأنواع التنظيمات والامتحانات. والتي تجعل من ظاهرة الفصل ظاهرة معقدة تتفاعل داخل عوامل متشعبة وتتصهر فيها متغيرات شديدة التباين.

4- على التعليم أن يتحدد أيضاً بالمتعلمين، إن الفصل هو دائماً وفي جميع الأحوال مجموعة من الطلاب لكل واحد منهم شخصية متميزة، وميولات خاصة تتحدد بدورها بانتماؤهم السوسيو ثقافية، وعلى الرغم مما يكون بين الطلاب من أمور مشتركة فإن عناصر الاختلاف تبقى ظاهرة للعيان مثل: الاختلاف في وتيرة التعلم التي تتفاوت بينهم رغم تقارب أعمارهم، ما يترتب عن ذلك العديد من المشاكل.

5- ما يضيف الطابع الجماعي لعملية التدريس، معوقاً آخر يزيد في تعقيدها وتمنعها أمام الدراسة التحليلية الموضوعية، فعلى الرغم من اختلاف الطلاب في اتجاهاتهم وإمكانياتهم فإن التعليم يوجه إليهم كجماعة تشكل وحدة تبدو كما لو كانت متجانسة، إن المدرس لا بد وأن يفكر باستمرار في ثلاثين أو أربعين طالبا في نفس الوقت والذين يتألف منهم فصله، دون أن يكون بإمكانه مع ذلك إرضاءهم جميعاً.